الباب الثالث

بنت الشاطئ، ترجمة حياتها، و منهجها فى التفسير، و تفسيرها لآية الإرادة

الفصل الأول: ترجمة حياتـــها

عائشة بنت محمد بن على بن عبدالرحمن، المشهورة ببنت الشاطئ.[1] وهي مفكرة وكاتبة مصرية، وأستاذة جامعية وباحثة، وهى أول امرأة تحاضر بالازهر الشريف، ومن أوليات من اشتغلن بالصحافة في مصر و بالخصوص في جريدة الاهرام، وهى أول إمرأة عربية تنال جائزة الملك فيصل في الاداب والدراسات الاسلامية.[2]

نشأتـــها

ولدت عام 1913 م بعد أمتار قليلة من شاطئ النيل (فرع دمياط) و على مقربة من ضريخ (الشيخ شطا) هي بنت الشاطئ إذن.[3] و قيل إنها ولدت فى مدينة دمياط[4]

[1] لمعى المطيعى، ***موسوعة نساء و رجال من مصر*** (القاهرة: دار الشروق، الطبعة الأولى، 2003)، ص 113.
[2] http://ar.wikipedia.org/wiki/عائشة_عبد_الرحمن
[3] لمعى المطيعى، ***موسوعة نساء و رجال من مصر***، ص 114.
[4] محافظة فى مصر شمالي الدلتا و شرقي فرع دمياط، انظر: ***المنجد فى الأعلام***، ص 246.

بشمال دلتا مصر فى منتصف نوفمبر عام 1912 م.[5] كان والدها –محمد بن على بن عبدالرحمن– من كبار علماء الأزهر بدمياط و ينتهى نسبه إلى الحسين بن على بن أبى طالب.[6] و كان والدها لا يقر خروج البنات للتعليم، فلم تتعلم ابنته عائشة مراعاة لموقف الوالد فى مدرسة ابتدائية أو غيرها. و هي صغيرة تتعلمت فى الكتاب على أيدى الشيخ مرسى من أصدقاء والدها. و تعلمت على أيدى والدها و أصدقائه من المشايخ.[7]

دراستـــها

التحقت بجامعة القاهرة لتتخرج في كلية الآداب قسم اللغة العربية 1939وكان ذلك بمساعدة امها فأبيها كان يأبى ذهابها للجامعة، وقد الفت كتاب بعنوان الريف المصرى في عامها الثانى بالجامعة، ثم تنال الماجستير بمرتبة الشرف الأولى عام 1941. تزوجت أستاذها بالجامعة الأستاذ أمين الخولي صاحب الصالون الأدبي والفكري الشهير بمدرسة الأمناء، وأنجبت منه ثلاثة أبناء وهى تواصل مسيرتها العلمية لتنال رسالة الدكتوراه عام 1950 ويناقشها عميد الأدب العربي د. طه حسين.[8]

[5] http://ar.wikipedia.org/wiki/عائشة_عبد_الرحمن

[6] لمعى المطيعى، ***موسوعة نساء و رجال من مصر*** (القاهرة: دار الشروق، الطبعة الأولى، 2003)، ص 114.

[7] لمعى المطيعى، ***موسوعة نساء و رجال من مصر***، ص 114.

[8] http://ar.wikipedia.org/wiki/عائشة_عبد_الرحمن

مؤلفاتـــها

كتبت بنت الشاطئ مقالات و كتب، ومن كتبها التى تتعلق بالتفسير: [9]

1. التفسير البيانى للقرآن الكريم
2. مقال فى الإنسان دراسة قرآنية
3. الشخصية الإسلامية دراسة قرآنية
4. القرآن و قضايا الإنسان
5. القرآن و التفسير العصري
6. الإعجاز البياني و مسائل ابن ازرق

و أما مؤلفاتـــها التى لا تتعلق بالتفسير: [10]

1. الحياة الإنسانية عند أبى العلاء (1944)
2. رسالة الغفران لأبى العلاء (1950)
3. الغفران لأبى العلاء المعرى (1954)
4. أرض المعجزات، رحلة فى جزيرة العرب (1956)

[9] فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومى، ***بحوث فى أصول التفسير و مناهجه*** (الرياض: مكتبة التوبة، الطبعة الرابعة، 1419 هـ)، ص 110، و يقال أن هذه الكتب من المؤلفات القليلة فى منهج التفسير البياني.

[10] Issa J. Boullata, *Tafsir Al-Quran Modern* dalam Bint al-Syathi, *Tafsir Bint al-Syati*, terj. Muzakir, (Badung: Mizan, cet. Ke-1, 1996), hal. 10.

5. نساء النبي (1961)

6. أم النبي (1961)

7. بنات النبي (1963)

8. سكانة بنت الحسين (1965)

9. بطلات الكربلا (1965)

10. أبو العلاء المعرى (1965)

11. الخنساء (1965)

12. المفهوم الإسلامي لتحرير المرأة (1967)

13. تراثنا بين ماض و حاضر (1968)

14. لغتنا و الحياة

و لها غير ذلك من المؤلفات و البحوث و أشرفت على عدد كبير من الرسائل العلمية فى مختلف البلدان العربية و شاركت فى عدد من المؤتمرات.[11]

[11] فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومى، ***اتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر الهجرى*** (رسالة لنيل درجة دوكتوره بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1404-1405 هـ)، ص 1032-1033.

وفاتـــها

يوم السبت 28 نوفمبر 1998 دخلت بنت الشاطئ بمشتشفى هليوبوليس بمصر الجديدة متأثرة بجلطة فى الشريان التاجى وقصور فى الدورة الدموية للقلب. و توفيت فى الثالثة من عصر الثلاثاء أول ديسمبر. و يؤم الصلاة الإمام الأكبر الشيخ الدوكتور محمد سيد طنطوى شيخ الجامع الأزهر.[12]

الفصل الثاني: منهجها فى التفسير

قبل البحث عن منهج بنت الشاطئ فى التفسير، فينبغى أن يعلم تعريف بعض الاصطلاحات المتعلقة بمنهج التفسير لمعرفة ما الذى يقصد بالمنهج فى هذا البحث. لم يتفق الباحثين فى أصول التفسير و مناهجه لكل من الاصطلاحات الآية: الاتجاه، و المنهج، و الطريقة. و لهذا كثير منهم يذكرون تعريفا لكل منها، و يذكر غيرهم تعريفا آخر. لوجود تلك الاختلاف، اتفق الباحث بتعريف فهد بن عبد الرحمن سليمان الرومى لتلك الاصطلاحات:[13]

[12] لمعى المطيعى، ***موسوعة نساء و رجال من مصر*** (القاهرة: دار الشروق، الطبعة الأولى، 2003)، ص 121.
[13] فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومى، ***بحوث فى أصول التفسير و مناهجه*** (الرياض: مكتبة التوبة، الطبعة الرابعة، 1419 هـ)، ص 55.

1-الاتجاه: الهدف الذى يتجه إليه المفسرون فى تفاسيرهم و يجعلونه نصب أعينهم و هم يكتبون ما يكتبون.

2-المنهج: السبيل التى تؤدى إلى هذا الهدف المرسوم.

3-الطريقة: الأسلوب الذى يطرقه المفسر عند سلوكه للمنهج المؤدى إلى الهدف أو الاتجاه.

إذن، فتفسير الزمخشرى مثلا، داخل فى التفسير العقدى من حيث الاتجاه، و التفسير المعتزلي من حيث المنهج، و التفسير التحليلي من حيث الطريقة.

لقد اختلف المفسرون من ماض إلى حاضر فى منهج تفسيرهم حتى يوجد أنواع من المناهج التفسيرية، و بعد أن يقسم طرق التفسير إلى قسمين هما التفسير بالمأثور و التفسير بالرأي، قسم فهد بن عبد الرحمن سليمان الرومى مناهجهم إلى سبعة مناهج:[14]

1- التفسير بالمأثور

2- التفسير الفقهي

3-التفسير العلمي

4-التفسير العقلى

[14] انظر البيان لكل من هذا المنهج فى ***بحوث فى أصول التفسير و مناهجه*** لفهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومى.

5-التفسير الاجتماعي

6-التفسير البياني

7-التفسير التذوق الأدبي

و كانت بنت الشاطئ نهج منهجا بيانيا فى التفسير التى على هذه الخطوات:[15]

1-أن يجمع المفسر الآيات ذات المزضوع الواحد بعضها إلى بعض و يتدبرها جميعا و يفسرها كذلك.

2-أن يرتب آيات الموضوع الواحد ترتيبا زمنيا حسب تاريخ نزولها.

3-أن يدرس دراسة خاصة ما حول النص كتاريخ و أسباب نزوله و جمعه و كتابته و قراءته و نحو ذلك من علوم القرآن.

4-ثم يقدم دراسة عامة للبيئة التى نزل بها هذا النص، البية المادية فى الأرض و السماء و الجبال و السهول و الأودية، و البيئة المعنوية فى تاريخ هذه الأمة و نظمها و أعرافها و عادتها و تقاليدها.

5-دراسة النص القرآني فى مفرداته بدراسة:

أ- استعمالات هذه المفردة لغويا

[15] فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومى، ***بحوث فى أصول التفسير و مناهجه*** (الرياض: مكتبة التوبة، الطبعة الرابعة، 1419 هـ)، ص 108.

ب- دراسة استعمالاتـــها فى القرآن الكريم فى مواضع مختلفة و مدلولها فى كل موضوع.

6-دراسة النص القرآني فى معانيه المركبة، و ذلك بطريق العلوم الأدبية من نحو و بلاغة.

تلك هي الخطوات التى رسمها أمين الخولى للتفسير البيانى[16] و قد اعترف بنت الشاطئ بأنها اتبعت منهج أمين الخولى[17] فى التفسير فقالت فى مقدمة الطبعة الخامسة للتفسير البياني للقرآن الكريم[18]: "و المنهج قد شرحه أستاذنا الإمام أمين الخولي و لا بأس أن ألخص ضوابطه هنا:

1-الأصل فى المنهج، التناول الموضوعي لما يراد فهمه من كتاب الإسلام و يبدأ بجمع كل ما فى الكتاب المحكم من سور و آيات فى الموضوع المدروس.

2-فى فهم ما حول النص: ترتب الآيات فيه على حسب نزولها لمعلرفة طروف الزمان و المكان، كما يستأنس بالمرويات ف أسباب النزول من حيث هي قرائن

---

[16] فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومى، ***بحوث فى أصول التفسير و مناهجه*** (الرياض: مكتبة التوبة، الطبعة الرابعة، 1419 هـ)، ص 109.

[17] هو أمين إبراهيم عبد الباقى عامر إسماعيل يوسف الخولى ابن المزارع المصري إبراهيم الخولى و ابن السيدة المصرية فاطمة بنت الشيخ على عامر الخولى من عالة الخولى أبا و أما من قرية شوشاى مركز أشمون محافظة المنوفية، أحد روّاد المدرسة الحديثة في التفسير في مصر الذي ركز مقولة جديدة طوّرت نوعيا مقولة محمد عبده حيث اعتبرت أن القرآن الكريم هو "كتاب العربيّة الأكبر". ولد فى أول مايو عام 1895 و توفي التاسع من مارس 1966، حفظ القرآن فى العائر من عمره، كان رئيسا فى قسم اللغة العربة بكلية الآداب سنة 1928، انظر: لمعى المطيعى، ***موسوعة نساء و رجال من مصر*** (القاهرة: دار الشروق، الطبعة الأولى، 2003)، ص 245-253.

[18] عائشة عبد الرحمن، ***التفسير البياني للقرآن الكريم*** (القاهرة: دار المعارف، الطبعة السابعة، 1990)، ص 10-11.

لابست نزول الآية، دون أن يفوتنا ما تكون العبرة فيه بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذى نزلت فيه الآية. و أن السبب فيها ليس بمعنى الحكمية أو العلية التى لولاها ما نزلت الآية.

3- فى فهم دلالة الألفاظ: نقدر أن العربية هي لغة القرآن، فنلتمس الدلالة اللغوية الأصيلة التى تعطينا حس العربية للمادة فى مختلف استعملاتـــها الحسية و المجازية. ثم نخلص للمح الدلالة القرآنية باستقراء كل ما فى القرآن من صيغ اللفظ، و تدبر سياقها الخاص فى الأية و السورة، و سياقها العام فى القرآن كله.

4- فى فهم أسرار التعبير: نحتكم إلى سياق النصص الكتاب المحكم ملتزمين ما يحتمله نصا و روحا. و نعرض عليه أقوال المفسرين فنقبل منها ما يقبله النص، و نتحاشى ما أقحم على كتب التفسير من مدسوس الإسرائيليات[19] و شوائب الأهواء المذهبية، و بدع التأويل.

[19] لفظ الإسرائيليات جمع، مفرده إسرائيلية، و هي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي (اليهود). و لفظ الإسرائيليات -و إن كان يدل بظاهره على القصص الذى يروى أصلا عن مصادر يهودية- يستعمله علماء التفسير و الحديث و يطلقونه على ما هو أوسع و أشمل من القصص اليهودي، فهو فى اصطلاحهم يدل على كل ما تطرق إلى التفسير و الحديث من أساطير قديمة منسوبة فى أصل رواياتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما، بل توسع بعض المفسرين و المحدثين فعدوا من الإسرائيليات ما دسه أعداء الإسلام من اليهود و غيرهم على التفسير و الحديث من أخبار لا أصل لها فى مصدر قديم، و إنما هي أخبار من صنع أعداء الإسلام، صنعوه بخبث النية، و سوء طوية، صم دصوها على التفسير و الحديث ليفسدوا بها عقائد المسلمين، انظر: محمد حسين الذهبي، ***الإسرائيليات فى التفسير و الحديث***، (القاهرة: مكتبة وهبة، الطبعة الرابعة، 1990)، ص 13-14.

و بنت الشاطئ تهتم فى تفسيرها باليان العربي فقالت فى مؤتمر المشتشرقين الدولي سنة 1964 بموضوع البحث "مشكلة الترادف اللغوي فى ضوء التفسير البياني للقرآن الكريم": "و فيه بينت كيف شهد التتبع الدقيق لمعجم ألفاظ القرآن – و استقراء دلالتها فى سياقها، بأن القرآن يستعمل اللفظ بدلالة محدودة، لا يمكن معها أن يقوم لفظ مقام آخر فى المعنى الواحد الذى تحشد له المعاجم اللغوية و كتب التفسير، عدد أقل أو كثر من الألفاظ المقولى بترادفها".[20]

و أما المؤلفات فى هذا المنهج لقليلة جدا و التى توجد حتى الآن هي: من هدي القرآن لأمين الخولى، التفسير البيانى للقرآن الكريم، و مقال فى الإنسان دراسة قرآنية، و الشخصية الإسلامية دراسة قرآنية، و القرآن و قضايا الإنسان، كلها لبنت الشاطئ.[21]

الفصل الثالث: تفسيرها لآية الإرادة

قبل أن يقدم الباحث بحثا عن تفسير بنت الشاطئ لآية الإرادة، فينبغى أن يعلم بأن تفسير بنت الشاطئ لآيات الإرادة كان مأخوذا من باب "حرية الإرادة" و هو باب من

[20] جمعة على عبد القادر، ***زاد الراغبين فى مناهج المفسرين*** (القاهرة: جامعة الأزهر، الطبعة الأولى، 1986)، ص 143-144.
[21] فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومى، ***بحوث فى أصول التفسير و مناهجه*** (الرياض: مكتبة التوبة، الطبعة الرابعة، 1419 هـ)، ص 110.

خمسة عشر بابا فى كتاب مقال فى الإنسان دراسة قرآنية. و تلك الأبواب هي: هذا الإنسان، من المبتدأ إلى المنتهى، اسجدوا لآدم، خلق الإنسان علمه البيان، أمانة الإنسان، حرية الإنسان، الحرية و الرق، حرية العقيدة، حرية العقل و الرأي، حرية الإرادة، الوجود و العدم، جدل فى البعث، العرض و الجوهر، عالم الروح، و إنسان العصر بين الدين و العلم.

و قالت بنت الشاطئ بأن قصد تأليفها هذا محاولة اجتلاء النظرة القرآنية إلى الإنسان. و قالت بأن أول ما لفتها من أمر الإنسان فى القرآن أنه يأتى فيه بدلالة خاصة تميزه عن ألفاظ أخرى يغلب على الظن أنها مرادفة له: كالبشر، أو الناس، أو الإنس.[22] فالبشرية عندها هي الآدمية المادية، و ليس بهذا المفهوم يستعمل القرآن ألفاظ الناس أو الإنس أو الإنسان. فالناس فى القرآن عندها هي إسم الجنس لهذه السلالة الآدمية. و لفظ الإنس يأتى دائما مع لفظ الجن على وجه التقابل فتدل الإنسية على عدم التوحش و بهذه يمتاز الإنسان عن أجناس أخرى خفية مجهولة تحيى بحياة أخرى. و أما الإنسانية لا تكفى معناه بالإنسية فإنما فيها إرتقاء إلى الدرجة التى تؤهله للخلافة فى الأرض و احتمال تبعات التكليف و أمانة الإنسان، لأنه المختص بالعلم و البيان و و العقل و التمييز.

[22] عائشة عبد الرحمن، ***مقال فى الإنسان دراسة قرآنية*** (القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثانية، 1993)، ص 11.

و فى باب " من المبتدأ إلى المنتهى"، قدمت بنت الشاطئ رأيا عن الفرق بين الإنسان و الملائكة، و ليس الإنسان كالملائكة فى طاعة الله لأن طاعة الملائكة طاعة مجبورة و أما طاعة الإنسان بالاختيار، واحتجت بأن خلافة الإنسان فى الأرض تحتاج إلى وجود الاختيار لأن الطاعة الخالصة المجبورة لا تبرر الخلافة.[23]

ثم تعيد هذا الرأي فى خلاصتها فى باب " اسجدوا لآدم" فقالت بأن سجود الملائكة لآدم هو ما اختص به آدم من علم يختلف عن علم الملائكة الذى لا مجال فيه لميزة الكسب. كانت هذه الخلاصة مستنبطة بعد أن ردت كثيرا من تفسير المفسرين للفظ "الأسماء" ولكنها وافقت تفسير محمد عبده حيث يقول: "العلم إنما هو إدراك المعلومات أنفسها، و الألفاظ الدالة عليها تختلف باختلاف اللغات التى تجرى بالمواضعة و الاصطلاح فهي تتغير و تختلف، و المعنى لا تغيير فيه و لا اختلاف". و كذلك وافقت تفسير الزمخشرى الذى يوجه الآية فى خلافة آدم فى الأرض و فى علمه الأسماء إلى عموم الجنس الآدمي. ثم أثبتت اتفاقها بتفسيرهما برأي محمد عبده بأن الإنسان فقد خلقه الله ضعيفا و جهيلا، ولكنه على ضعفه و جهله عبرة لمن يعتبر و موضع لعجب المتعجب. لأنه مع ضعفه يتصرف فى الأقوياء، و مع جهله فى نشأته يعلم جميع الأسماء، و يعطى قوة أخرى

[23] عائشة عبد الرحمن، ***مقال فى الإنسان دراسة قرآنية*** (القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثانية، 1993)، ص 29.

تتصرف بشعوره و إحساسه تصرفا يكون له بها السلطان على هذه الكانات فيسخرها و يذللها كما تشاء تلك القوة الغريبة التى يسمونها العقل.[24]

و فى باب "أمانة الإنسان"، تفسر بنت الشاطئ "آية الأمانة" و ترى بأن معنى الأمانة ليس كما فسره المفسرون المتقدمون، و داخل فيه الزمخشرى الذى فسر الأمانة بمعنى الطاعة. فالأمانة عندها الابتلاء بتبعة التكليف و حرية الإرادة و مسؤولية الاختيار، و الإيمان مضمون فيها لكنه أخص منها بمجال العقيدة. و احتجت لهذا التفسير بأن إيثار لفظ الأمانة على غيرها من ألفاظ يظن أنها مرادفة لها كلفظ "التكليف" و "المسؤولية" و "التبعة" و العهد" ملحوظ فيه حس العربية الأصيل للفظ الأمانة. ثم قالت فى نهاية الباب بأن الأمانة التى حملها الإنسان لم يتم فهمها إلا بعد معرفة حقيقة حرية الإنسان.[25]

وهناك أنواع عديدة للحرية الإنسانية. منها الحرية على معناها العام، وهي ضد العبد، ومنها الحرية فى العقيدة، ومنها الحرية فى الفكر والرأي، ومنها الحرية فى الإرادة. و كانت حرية الإرادة عندها حرية جوهرية بين الحريات الأخرى للإنسان. لذلك تقديم الدراسة عن تفسيرها لآية الإرادة تكون محتاجة و أهم.

[24] عائشة عبد الرحمن، ***مقال فى الإنسان دراسة قرآنية*** (القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثانية، 1993)، باب اسجدوا لآدم.
[25] عائشة عبد الرحمن، ***مقال فى الإنسان دراسة قرآنية***، ص 58-59.

و لقد اختلف مفسرو الجبرية و القدرية فى تعيين آية الإرادة فأخذوا جملة من الآيات و يفسرها و يؤولها فتكون آيات الجبر آية الإرادة عند الجبرية و آيات الاختيار آية الإرادة عند القدرية. لوجود هذا الاختلاف، تحرر بنت الشاطئ نفسها من الالتزام بأي قول سابق فى هذه القضية فتحدد مفهوم الإرادة. فالإرادة عندها لا تعنى مجرد الرغبة و الميل، و لا هي عن التفكير و الاتجاه إلى عمل ما، إنما تكون الإرادة حين تنتقل النية إلى عمل، و يستقر العزم عليه فى تصميم مهما تكن العوائق و الموانع، هذا لأن مبدأ "الأعمال بالنيات" لا يعنى الإلزام بالمسئولية على مجرد النية، بل يقدر سبق العمد و يفرق بين أعمال تمت عن إرادة و تصميم، و أخرى بدرت عن غير نية، فالذى يعتبر بالعمل هو الذى سبقه النية.[26]

بهذا التحديد، فآية الإرادة عندها كل الآيات التى تتعلق بالإرادة، ولكن، لأن الرغبة تمهيدا للإرادة و العزم من لوازمها، فلمعرفة ما قصد به القرآن من معنى الإرادة، يبدأ التفسير لآية الإرادة بالتدبر إلى استعمال القرآن لكل من الرغبة و العزم.

[26] عائشة عبد الرحمن، ***مقال فى الإنسان دراسة قرآنية*** (القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثانية، 1993)، ص 106-107.

الآيات فيها مادة "رغب"[27]

1-وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللاتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ **وَتَرْغَبُونَ** أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (النساء: 127)

2-وَمَنْ **يَرْغَبُ** عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (البقرة: 130)

3-مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلا **يَرْغَبُوا** بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلا إِلا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (التوبة: 120)

4-فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا **رَغَبًا** وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (الأنبياء: 90)

[27] محمد فؤاد عبد الباقي، ***المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*** (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1364 هـ)، ص 322.

5-قَالَ **أَرَاغِبٌ** أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (مريم: 46)

6-وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ **رَاغِبُونَ** (التوبة: 59)

7-عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (القلم: 32)

8-وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (الشرح: 8)

الآيات فيها مادة "عزم"[28]

1-طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا **عَزَمَ** الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (محمد: 21)

2- فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا **عَزَمْتَ** فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (آل عمران: 159)

3-وَإِنْ **عَزَمُوا** الطَّلاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (البقرة: 227)

[28] محمد فؤاد عبد الباقى، ***المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*** (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1364 هـ)، ص 461.

4-وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلا أَنْ تَقُولُوا قَوْلا مَعْرُوفًا وَلا **تَعْزِمُوا** عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (البقرة: 235)

5-لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ **عَزْمِ** الأُمُورِ (آل عمران: 186)

6-يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ **عَزْمِ** الأُمُورِ (لقمان: 17)

7-وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ **عَزْمِ** الأُمُورِ (الشورى: 43)

8-فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو **الْعَزْمِ** مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (الأحقاف: 35)

9-وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ **عَزْمًا** (طه: 115)

من هذه الآيات كلها، وجدت بنت الشاطئ استعمال لفظ الرغبة –بصيغة متنوعة– فى ثمانى مواضع أى بأن مادة "رغب" جاءت فى القرآن ثمانى مرات، و لم تأت الرغبة إطلاقا فى القرآن الكريم مسندة أو مضافة إلى الله؛ كلها مسندة أو مضافة للمخلوقين.

و الرغبة فى سورة النساء الآية 127، لقد جاءت الرواية عن عاشئة تدل على أن هذه الآية نزل لرجل تكون عنده اليتيمة هو وليها و وارثها، فأشركته فى ماله حتى فى العنق فيرغب أن ينكحها و يكره أن يزوجها رجلا فيشركه فى ماله بما شركته فيعضلها،[29] فالرغبة مضافة إلى هذا الرجل. و فى سورة البقرة الآية 130، يعلم بأن الذى يرغب عن ملة إبراهيم هو المخالف لملة إبراهيم و المخالف لملة إبراهيم هم الكافرون و المشركون، فالرغبة عن ملة إبراهيم مضافة إلى الكافرين و المشركين. و فى سورة التوبة الآية 120، يعاتب الله المتخلفين عن الرسول الله فى غزوة تبوك من أهل المدينة و من حولها من أحياء العرب، و رغبتهم بأنفسهم عن مواساته فيما حصل له من المشقة،[30] فالرغبة مضافة إلى أهل المدينة و من حولها من أحياء العرب. و فى سورة الأنبياء الآية 90، يقول الله مخبرًا عن عبده زكريا حين طلب أن يهبه الله ولدا يكون من بعده نبيا

[29] ابن كثير الديمشقي، ***تفسير القرآن العظيم*** (بيروت: دار المعرفة، الطبعة الثانية، 2004)، ص 429.
[30] ابن كثير الديمشقي، ***تفسير القرآن العظيم***، ص 756.

رغبا فيما عند الله،[31] فالرغبة مضافة إلى زكريا. و فى سورة مريم الآية 46، يقول الله مخبرًا عن جواب أبي إبراهيم لإبراهيم، فالرغبة عن عبادة الأصنام مضافة إلى إبراهيم. و فى سورة التوبة الآية 59، جاءت الرواية بأن هذه الآية و الآية قبلها نزلت للمنافقين الذين طعنوا فى الصدقات،[32] فالرغبة مضافة إلى المنافقين. و فى سورة القلم الآية 32، جاء القول بأن الذى قالوا " عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ" كانوا من أهل اليمن أو من أهل الحبشة،[33] فالرعبة مضافة إلى أهل اليمن أو من أهل الحبشة. و فى سورة الشرح الآية 8، قال بنت الشاطئ فى تفسيرها "التفسير البيانى للقرآن الكريم" بأن هذه الآية ربطت بما قبلها فلزم أن يكون التخصيص فى "و إلى ربك فارغب" مرتبطا بما قبله، متصلا به،[34] فالرغبة مضافة إلى رسول الله.

و كذلك العزم، جاءت مادة "عزم" فى القرآن تسع مرات و لم يأت قط مضافا أو مسندا إلى الله و إنما العزم فى القرآن لعباده، و العزم معناه التصميم و النفاذ.[35]

و العزم فى سورة محمد الآية 21، هذه الآية ربطت بما قبلها التى يقول الله مخبرا عن المؤمنين أنهم تمنوا شرعية الجهاد، فالعزم مضاف إلى المؤمنين. و فى سورة آل عمران

---

[31] ابن كثير الديمشقي، ***تفسير القرآن العظيم*** (بيروت: دار المعرفة، الطبعة الثانية، 2004)، ص 1046.
[32] ابن كثير الديمشقي، ***تفسير القرآن العظيم***، ص 730.
[33] ابن كثير الديمشقي، ***تفسير القرآن العظيم***، ص 1634.
[34] عائشة عبد الرحمن، ***التفسير البيانى للقرآن الكريم*** (القاهرة: دار المعارف، الطبعة السابعة، 1990)، الجزء الأول، ص 76.
[35] عائشة عبد الرحمن، ***مقال فى الإنسان دراسة قرآنية***، (القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثانية، 1993)، ص 107.

الآية 159، يقول الله مخاطبا رسوله ممتنا عليه و على المؤمنين فيما الآن به قلبه على أمته المتبعين لأمره التاركين لزجره،[36] فالعزم مضاف إلى رسول الله و المؤمنين. و فى سورة البقرة الآية 227، هذه الآية ربطت بما قبلها: "للذين يؤلون من نسائهم"،[37] فالعزم مضاف إلى الذين يؤلون من نسائهم. و فى سورة البقرة الآية 235، هذه الآية بيان عن أمر متعلق بخطبة النساء، فالعزم مضاف إلى الرجال. و فى سورة آل عمران الآية 186، يقول الله للمؤمنين عند مقدمهم المدينة قبل وقعة بدر مسليا لهم عما نالهم من الأذى من أهل الكتاب و المشركين و آمر لهم بالصفح و الصبر و العفو حتى يفرج الله،[38] فالعزم مضاف إلى المؤمنين. و فى سورة لقمان الآية 17، أن هذه وصايا حكاها الله عن لقمان الحكيم لابنه، فالعزم مضاف إلى ابن لقمان الحكيم. و فى سورة الشورى الآية 43، واضح بأن العزم مضاف إلى من صبر غفر. و فى سورة الأحقاف الآية 35، واضح بأن العزم مضاف إلى الرسل الذين صبروا. و كذلك فى سورة طه الآية 115، واضح بأن العزم مضاف إلى الإنسان الذى نسي بالعهد.

[36] ابن كثير الديمشقي، ***تفسير القرآن العظيم*** (بيروت: دار المعرفة، الطبعة الثانية، 2004)، ص 320.
[37] ابن كثير الديمشقي، ***تفسير القرآن العظيم***، ص 208.
[38] ابن كثير الديمشقي، ***تفسير القرآن العظيم***، ص 322.

بعد التتبع إلى استعمال القرآن لكل من الرغبة و العزم، تمضى بنت الشاطئ فى استقراء استعمال القرآن لفظ الإرادة و وجدت استعمالها فى 140 موضعا، كلها بصيغة الفعل، إما فعل الماضى و إما فعل المضارع، و لا يوجد هناك صيغة أخرى لهذا اللفظ؛ لم يستعملها قط بصيغة المصدر أو أي صفة و لا يستعمل منها بصيغة الأمر.

و رأت بأن استعمال لفظ الإرادة فى القرآن كله على الماضى و المضارع دون الأمر يدل على أن مناط الإرادة فى القرآن الكريم وقوع الفعل، لا الأمر به أو الحمل عليه، نظرا إلى أن الإرادة لا تكون بأمر ينتفى به جوهر الإرادة من حيث هي مشيئة و اختيار.[39] و من 140 آية فيها مادة "أراد"، وجدت 50 آية لاستعمال القرآن لفظ الإرادة مسندا إلى الله و 90 آية مسندا إلى غيره (المخلوقين). و لكثرة عددها فقدم الباحث بعض منها.[40]

الآيات فيها مادة "أراد" مضافة إلى الله[41]

1-أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ **يُرِدْنِ** الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنْقِذُونِ (يس: 23)

[39] عائشة عبد الرحمن، ***مقال فى الإنسان دراسة قرآنية*** (القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثانية، 1993)، ص 107-108.
[40] قد عد الباحث هذه الآية فى ***المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*** و لقد صح بأنها مذكور فى القرآن 140 مرات، انظر: محمد فؤاد عبد الباقى، ***المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*** (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1364 هـ)، ص 326-328.
[41] محمد فؤاد عبد الباقى، ***المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*** (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1364 هـ)، ص 326-328.

2-لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ **أَرَادَ** أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (المائدة: 17)

3-قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ **أَرَادَ** بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (المائدة: 17)

4-سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ **أَرَادَ** بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (الفتح: 11)

5-لَوْ **أَرَدْنَا** أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ (الأنبياء: 17)

الآيات فيها مادة "أراد" مضافة إلى الإنسان[42]

1-يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ **تُرِدْنَ** الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلا (الأحزب: 28)

[42] محمد فؤاد عبد الباقى، ***المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*** (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1364 هـ)، ص 326-328.

2- وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلا وَمَنْ **يُرِدْ** ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ **يُرِدْ** ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (آل عمران: 145)

3-مَنْ كَانَ **يُرِيدُ** ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (النساء: 134)

4-مَنْ كَانَ **يُرِيدُ** حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ **يُرِيدُ** حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (الشورى: 20)

5-مَنْ كَانَ **يُرِيدُ** الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (هود: 15)

من هذا الاستقراء، رأت بنت الشاطئ بأن هذا البيان لا يعرف الإرادة إلا عملا و فعلا فليست عنده من المجردات الذهنية التي تختص بها الأسماء و لا هي من الصفات التي تطلق على الأشخاص أو تضاف إليهم، فالإرادة بالفعل لا بالتصور أو الوصف أو الادعاء. أما قصر أستعمال فعل الإرادة على الماضي و المضارع دون الأمر يدل على أن

مناط الإرادة فى القرآن وقوع الفعل لا الأمر به أو الحمل عليه. فاستنبطت بهذا على أن إرادة الإنسان تحتاج إلى الاختيار.

و بعد الاهتمام إلى هذه الآيات كلها، رأت بأن آيات إرادة الله فيها النص الصريح على أنها –إرادة الله– كل شيئ، كقوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ" (الحج: 14)، و قوله تعالى: " إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" (يس: 82). و على حين تقرر الآيات الأخرى أن إرادة المخلوقين هي التى تسبق فتختار، و بعدها تأتى إرادة الله وفق ما أرادوا، كما قوله تعالى: " وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ" (آل عمران: 145)، و قوله تعالى: " مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا" (النساء: 134).

و بهذا تستنبط بأن هناك الفرق بين إرادة الله و إرادة الإنسان: إرادة الإنسان كسببية مصحوبة بعزم مسبوق برغبة و تفكير و أما إرادة الله حكم نافض و قضاء مبرم. فإرادة الله معناها الحكم و القضاء و أما إرادة الإنسان تتكون من رغبة و اختيار و عزم.[43]

[43] عائشة عبد الرحمن، ***مقال فى الإنسان دراسة قرآنية*** (القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثانية، 1993)، ص 108-110.

بعد الفهم للفرق بين فعل الإرادة حين يسند إلى الله و حين يسند إلى مخلوقاته، فسرت بنت الشاطئ قوله تعالى: "مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا وَإِذَا **أَرَدْنَا** أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا" (الإسراء: 15-16) بأن هذه الآية تدل على أن إرادة الله فيها أمر نافذ، و قد جعلت الترف بما هو ذريعة بغي و فساد، مسؤولا عن سوء المصير و هي مسبوقة بآية وزر الضلال و مثوبة الهدى.

و قوله تعالى: " قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لا تُمَتَّعُونَ إِلا قَلِيلا قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ **أَرَادَ** بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا" (الأحزاب: 16017) تدل على أن إرادة الله حكما نافذا لا مفر منه على من خانوا مسؤولية العهد.

و قوله: "وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلا لأَجَلٍ مَعْدُودٍ يَوْمَ يَأْتِ لا

تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا **يُرِيدُ** (هود: 101-107) يبين بأن إرادة الله حكما نافذا على أمم وثنية بائدة ضلت فأخذها الله بظلمها.[44]

و أما لقوله تعالى: "وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ **أَرَدْتُ** أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (هود: 34) التى يفهم بأن هذه الآية تُصدِّق عقيدة الجبرية، قالت عنها: "لا يجوز أن تؤخذ مبتورة من سياقها فى الملأ الذين كفروا من قوم نوح"، و هذا يوجد فى الآية قبلهـــا: "فَقَالَ الْمَلأ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (هود: 27).

و كذلك قوله تعالى: "وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (الرعد: 11) التى جعلت إرادة الله بقوم سوءا حكما لا مرد له، كانت مسبوقة بقوله تعالى فى صدر الآية: "إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ" و كذلك

[44] عائشة عبد الرحمن، ***مقال فى الإنسان دراسة قرآنية*** (القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثانية، 1993)، ص 110-112.

بقوله تعالى: "ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" (الأنفال: 53).[45]

و أما قوله تعالى: "أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنْقِذُونِ (يس: 23) و قوله تعالى: "وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (هود: 34) بيان أن قدرة الله و إرادته لا يستطيع أحد أو شيئ أن يحد من سلطانهما حتى لو أراد الله أن يغوى أحد أو يظلمه، لأن قدرة الله و إرادته مطلقتان كما أن علمه محيط. ولكن، هذا لا يدل على أن الله تعالى يظلم فعلا أو يلحق بأحد ضرر دون استحقاق، فهو تعالى قادر على العدل و الظلم ولكنه لا يغوى و لا يظلم و لا يرضى لعباده الكفر و لا يسوقهم إليه، لأن الآيات على هذا الوجه –لله إرادة الله المطلقة– جاءت فى القرآن معلقة على شرط الإرادة الإلهية بحرف "لو"[46] المفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط، أو مشروطة بحرف "إن" المفيد تعذر الوقوع.[47]

---

[45] عائشة عبد الرحمن، ***مقال فى الإنسان دراسة قرآنية*** (القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثانية، 1993)، ص 110-111.

[46] إن و لو حرفان من أحرف الشرط، و أحرف الشرط غيرهما هي إذ ما و لولا و لوما و أما و لما. و "لو" حرف شرط لما مضى تفيد امتناع شيئ لامتناع غيره، و تسمى حرف امتناع لامتناع أو حرفا لما كان سيقع لوقوع غيره، و أما "إن" حرف شرط للمستقبل و هي لا تفيد الامتناع و إنما تكون لمجرد ربط الجواب بالشرط، انظر: مصطفى الغلاييني، ***جامع الدروس العربية*** (بيروت: المكتبة العصرية، مجهول السنة)، الجزء الثالث، ص 257-258.

[47] عائشة عبد الرحمن، ***مقال فى الإنسان دراسة قرآنية***، ص 113-114.

من تفسير بنت الشاطئ لآية الإرادة، يعلم بأن لها ثلاثة آراء فى تفسير آية الإرادة:

1-إن إرادة الله أمر و حكم نافذ

2-إن الله لا يظلم فعلا أو يلحق بأحد ضرر دون استحقاق، أى أن الله قادر على العدل و الظلم و لكنه لا يغوى و لا يظلم و لا يرضى لعباده الكفر و لا يسوق إليه

3-إن إرادة الإنسان كسبية مصحوبة بعزم مسبوق برغبة و تفكير، و بعدها تأتى إرادة الله وفق ما أراد.